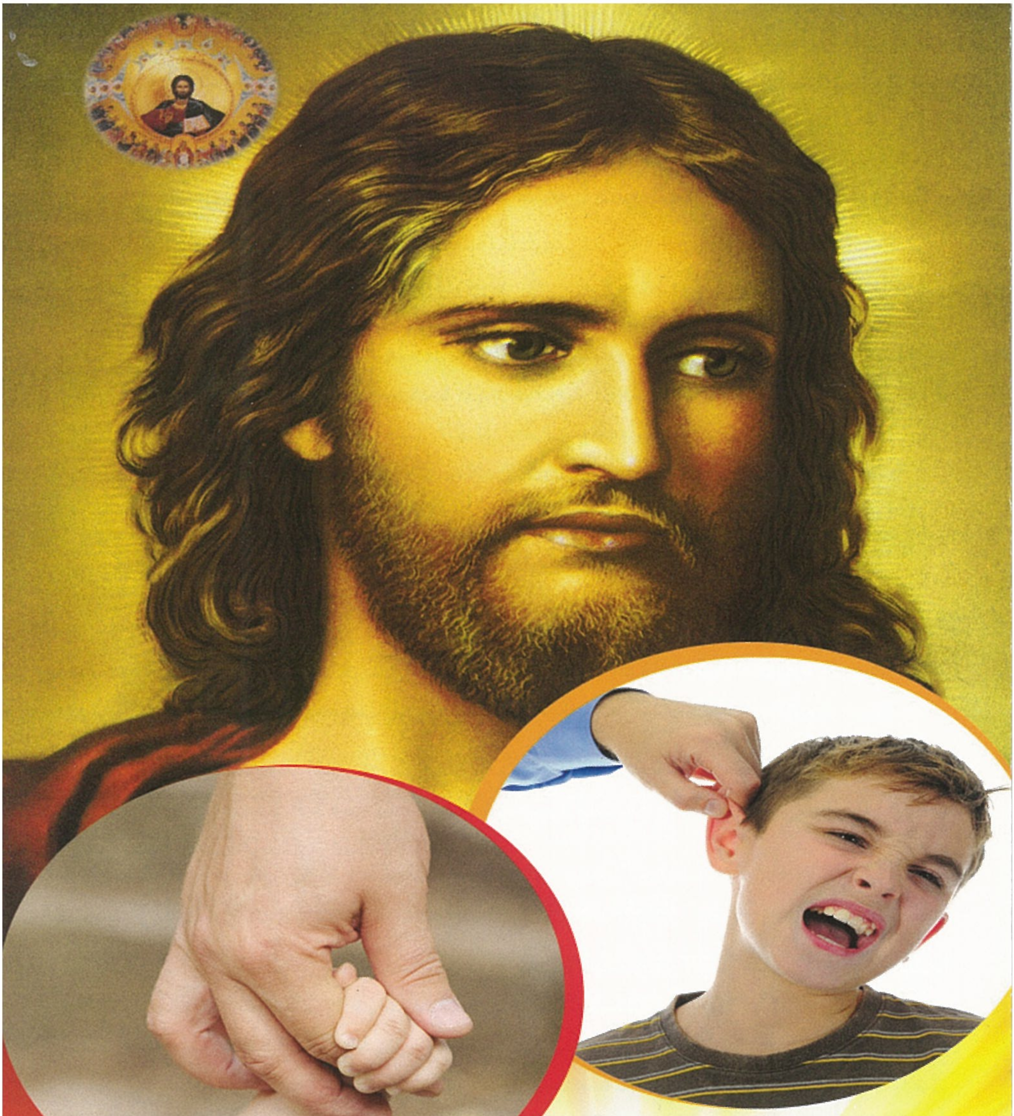

«يا أبنى لا تحتقر تأديب الرب.
ولا تخر اذا وبخك» (عب١٢ : ٥)

لا تحتقر تأديب الرب

القس أغسطينوس حنا

إن خير شرح لعنوان الموضوع والآية التى تشرحه نجده فى المزمور ٧٣ ورسالة العبرانيين اصحاح ١٢ فنرجو الرجوع إليهما.

بين العقاب و التأديب

لاتزال المعايير غير واضحة عند معظم الناس، فمن الذى يعاقبه الرب ومن الذى يؤدبه؟ وعلام يعاقب الرب أو يؤدب؟

وما الفرق بين خطايا الأشرار وخطايا الأبرار؟

١- خطايا الأشرار فظيعة بينما خطايا المؤمنين وأولاد الله لاتتصف بالجسامة والعنف. خطايا الأشرار هى أساساً عدم معرفة الله وعدم مخافته وعدم محبته، وتظهر فى ما يُسمى بالكبائر مثل القتل والزنى والسرقة والسكر والقمار والكبرياء وشهادة الزور والظلم والأنتقام وما شابه ذلك..

وأما خطايا المؤمنين فمعظمها يدور حول خطايا اللسان والكلام والأفكار والغضب وإدانة الآخرين والتذمر وما شابه..

وغالباً ما تعاقب القوانين الأرضية على النوع الأول مثل القتل والزنى والسرقة، ولا تعاقب على الكلام مثل الحلف والكذب والشتيمة إلا اذا اتخذت صورة شهادة الزور أمام المحاكم أو القذف والسب العلنى بقصد التحقير أو التشهير بالغير.

ولكن أمام شريعة الله أو شريعة الكمال "**فلا شتّامون يرثون ملكوت الله**" (١كو٦ : ٩)، "**وجميع الكذبة نصيبهم البحيرة المتقدة بالنار والكبريت**" (رؤ٢١ : ٨)، **ومن يدين فسوف يُدان**" (مت٧ : ١).

٢- خطايا الأشرار كثيرة، بينما خطايا المؤمنين قليلة

يقول الكتاب المقدس عن خطايا الأشرار أنهم «يشربون الإثم كالماء» (أى١٥) بينما خطايا المؤمنين أقل كثيراً فى عددها ونوعيتها وشدتها. يوجد تشبيه مشهور فى ذلك حول طبيعة الخنزير والحمل. فالخنزير يحب بطبيعته التمرغ فى الأوحال مهما غسلته ونظفته، بينما الحمل وإن كان ليس معصوماً من السقوط إلا انه قد يتعثر ويسقط أحياناً. الخنزير لا يريد ترك الأوحال والمستنقعات، ولكن الحمل يكره السقوط فيسرع بالقيام اذا سقط وينتفض ويحب أن تحتفظ بنظافته ..

٣- خطايا الأشرار عمدية، بينما خطايا المؤمنين عن سهو أو ضعف أو جهل أو استفزاز ...

٤- خطايا الأشرار بلا ندم، بينما خطايا المؤمنين مصحوبة بندم وتبكيت الروح القدس وتأنيب الضمير والرغبة فى التوبة والأعتراف بها وتركها.

٥- خطايا الأشرار تستحق العقاب، بينما خطايا المؤمنين تستحق التأديب.

ثانياً - الفرق بين العقاب والتأديب

أ- العقاب: القاعدة العامة هى أن العقاب للأشرار البعيدين عن الله أما أولاد

الله فهو لا يعاقبهم بإعتبار أن السيد المسيح حمل عقوبة خطاياهم على الصليب، وعدل الله لا يستوفى العقوبة مرتين. ولكن أولاد الله يؤدبون. وأحياناً لا يختلف التأديب عن العقاب فى نوعه أو فى شدّته ولكنه يختلف عنه فى هدفه وفى فائدته وفى معونة الله ومراحمه وتعزياته التى ترافقه.

الآيات التى تؤيد عقوبة الأشرار

(١) "وأعاقب المنافقين على أثمهم" (أش١٣ : ١١).

(٢) "لذلك عاقبتهم وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم" (أش٢٦: ١٤).

(٣) "أنى أعاقب ثمر عظمة قلب ملك آشور" (أش١٠ : ١٢).

(٤) "بنوك تركونى وحلفوا بما ليست (أر٥ : ٧-٩).

(٥) "عظموا وأستغنوا وتجاوزوا فى أمور الشر ولم يقضوا لليتيم والمسكين أفلأجل هذه لا أعاقب على هذا يقول الرب" (أر٥ : ٢٧-٢٩).

(٦) "وأعاقب جوج بالوبا وأمطر عليه وعلى جيشه والشعوب الكثيرة التى معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتاً فيعرفون أنى أنا الرب" (حز٣٨ : ٢٢).

(٧) "من خالف ناموس موسى على فم شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رأفة فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس أبن الله وحسب دم العهد الذى قُدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب١٠ : ٢٨ ، ٢٩).

(٨) "مبغضو الصديق يُعاقبون" (مز٣٤ : ٢١).

(٩) "مُعطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون أنجيل ربنا يسوع المسيح. الذين سيعاقبون بهلاك أبدى" (٢تس١).

آيات تثبت أن التأديب للأبناء

١ - "أن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين. فأى أبن لا يؤدبه أبوه؟" (عب١٢ : ٧).

٢ - "من أحب أبنه يطلب له التأديب" (أم١٣ : ٢٤).

٣ - "أيها الأباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وأنذاره" (أف٦ : ٤).

٤ - "نسيتُم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين. يا أبنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُر اذا وبخك لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل أبن يقبله" (عب١٢ : ٥ ، ٦).

٥ - "ثم قد كان لنا آباء أجساد مؤدبين وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى لأبى الأرواح فنحيا" (عب١٢ : ٩).

٦ - "تأديباً أدبنى الرب والى الموت لم يسلمنى" (مز١١٨ : ١٨)

٧ - فأذلك وأجاعك وأطعمك المن.. لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

بل بكل كلمة تخرج من فم الله. ثيابك لم تَبل ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة فاعلم أنه كما يؤدب الأب ابنه قد أدبك الرب آلهك (تث٨ : ٣-٥).

٨ - "**هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله فلا ترفض تأديب القدير لأنه هو يجرح ويعصب. يسحق ويداه تشفيان**" (أى٥ : ١٧ ، ١٨).

٩ - طوبى للرجل الذى تؤدبه يا رب وتعلمه من شريعتك لتريحه من أيام الشر» (مز٩٤ : ١٢ ، ١٣).

١٠ - وقال الرب لداود عن أبنه سليمان: "**انا أكون له أباً وهو يكون لى إبناً. ان تعوج أودبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى ازلته من أمامك**" (٢صم).

١١ - "**لأننا لوحكمنا على أنفسنا لما حكم علينا ولكن اذ حُكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم**" (١كو١١ : ٣١ ، ٣٢).

ثالثاً - ما موقفنا إزاء التأديب؟

يخبرنا الرسول بولس فى آية الموضوع (عب١٢ : ٥). **أن المؤمنين فى أوقات الضيق والألم مُعرضون لخطرين:**

الخطر الأول: إحتقار التأديب، "**فيقول يا أبنى لا تحتقر تأديب الرب**".

والخطر الثانى: هو الخور والفشل واليأس، فيقول "**ولا تخُر اذا وبخك**".

من ناحية قد يتعرض للغضب والكبرياء والأحتجاج فيحتقر التأديب. ومن الناحية الآخرى قد يتغلب عليه الضعف واليأس فيفشل ويخور، ولذلك يحذرنا الرسول من هذين الخطرين بقوله "**يا أبنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك**" (عب١٢).

كيف نحتقر تأديب الرب؟

١ - أننا نحتقر تأديب الرب بالتذمر عليه: إن خطية التذمر تعتبر من الخطايا الخطيرة التى طالما يقع فيها المؤمنون. ولذلك يحذرنا الرسول بولس قائلاً: "**لا تتذمروا كما تذمر أيضاً أناساً منهم فأهلكهم المهلك**" (١كو١٠ : ١٠). وما أكثر التذمرات التى نقع فيها والتى تنطوى على شكوك فى محبة الله وحكمته وعنايته...

تقول قصة أن الله كلف ملاكين أن ينزلا الى أرضنا ويتجولان بين البشر وكل منهما يحمل سلة كبيرة. كلف الأول أن يجمع فى سلته تشكرات البشر وأن يجمع الثانى تذمرات البشر. فكانت سلة التذمرات تمتلئ بسرعة حتى انه ملأها عدّة مرات. وأما حامل سلّة التشكرات فصرف معظم وقته عاطلاً دون أن تمتلئ سلته! فما أقل تشكرات بنى البشر وما أكثر تذمراتهم!

فاذا تصوّرنا أن معاملة الله قاسية علينا، أو أنه لم يعاملنا كغيرنا أو أنه حرمنا من بركات وخيرات كان يجب أن نتمع بها، فإن هذه الأفكار تملأ قلوبنا تأففاً وتذمراً. أننا ننسى إحسانات الله التى لا تُعدّ من الكثرة معنا ونفتش عن شئ نتذمر عليه

ونملأ الدنيا شكوى، فإذا أصبنا بخسارة أو بمرض فاننا لا نحتمل ونتذمر لماذا نحن؟ هذه الروح الثائرة الجاحدة الشاكية المتذمرة التى لا تقبل مشيئة الله، أنما هى إحتقار لتأديب الله.

٢ – ونحن نحتقر تأديب الله اذا تصورنا بأنه لا فائدة منه:

أننا لا ننتبه إلى إشارة الله عن نقاط الضعف فينا التى تحتاج إلى تقوية أو الى أخطائنا التى تحتاج الى تصحيح، ولا نريد اكتشاف الدروس التى يريدنا الرب أن نتعلمها من التجربة أو التأديب. هذا احتقار للتأديب بينما كان الأجدر بنا أن نطلب من الله أن يكشف لنا عن حكمته والبركة المغلّفة فيها التجربة ونصلى ماذا تريد منى يارب أن افعل؟

وبسبب اننا ندلل أنفسنا "**ولا نحكم على أنفسنا فيحكم علينا، لذلك فينا كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون إذ نؤدب من الرب هنا لكى لا نُدان مع العالم**" (اكو١١ : ٣٠-٣٣).

٣ – أننا نحتقر تأديب الرب اذا اعتبرنا أن فيه عاراً وهواناً:

فنخجل من الفقر أو الخسارة أو المرض أو الفشل فى عمل ما أو نحتقر الآخرين اذا أصابهم شئ من ذلك بدل أن ننظر اليهم نظرة حب وعطف ونمد لهم يد المعونة وكلمة التشجيع والتعزية. أن علينا أن نسأل أنفسنا من الذى سمح أو رتب أن نجتاز فى هذه الآلام؟ أليس هو الآب المحب الذى لانهاية لحكمته ومراحمه؟ أليس الألم هبة وعطية صالحة من الله وإذ تألم أبن الله أكثر منا فقد ترك لنا مثالاً لنتبع خطواته (ابط٢ : ٢١). ويقول الكتاب "**وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا أيضاً من أجله**" (في١ : ٢٩). "**وإذ تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين**". ويقول الرسول بولس "**أُعطيت شوكة فى الجسد**" (٢كو١٢ : ٧). لقد أعتبرها عطية ولذلك قال "**أننى بكل سرور افتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل علىّ قوة المسيح**" (٢كو١٢ ١).

٤ – ونحن نحتقر تأديب الرب عندما نتمرد ونعاند ونتمادى فى أخطائنا. وهكذا قال الرب لشعب أسرائيل قديماً: "**علام تُضربون بعد؟ تزدادون زيغاناً**" (أش١ : ٥). ما أكثر الناس الذين لا يتأثرون ولا يستفيدون من الحروب والكروب والزلازل والأوبئة والمجاعات والكوارث والأضطهادات. فأين الفاهمون والتائبون توبة صادقة؟.

يقول جوتة الشاعر الألمانى "**ما من تجربة حلّت بى إلا وأنطقتنى شعراً**". **ربما لا نرى كل تأديب فى الحاضر أنه للفرح بل للحزن، واما اخيراً فأنه يُعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام**" (عب١٢ : ١١).

كيف نخور من التأديب؟

الخوار معناه الضعف والخوف والفشل والياس والفتور والأنكسار.

١ – فنحن نخور عندما نكف عن الأجتهاد ومواصلة السعى والحماس والغيرة

الأولى. ربما تكون خادماً ناجحاً مدققاً فى سلوكك ولكن بمجرد أن تصيبك تجربة أو تصدمك صدمة من أى شئ أو شخص، فحالاً تذبل وتفشل وتضعف وتتراجع إلى الوراء. أن المؤمن الحكيم تدفعه الظروف الصعبة إلى الأمام وتزيده تعلقاً بالرب.

٢ – ونحن نخور عندما نستسلم إلى الهم والغم واليأس.

وقد تعرض لهذا كبار القادة بل والأنبياء والأبطال حتى أن موسى المشهور بحلمه غير العادى (عد١٢ : ٣)، صرخ إلى الله شاكياً "**لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل علىّ فان كنت تفعل بى هكذا فاقتلنى قتلاً أن وجدت نعمة فى عينيك فلا ارى بليتى!**" (عد١١ : ١١-١٥).

وأيليا بعد انتصار الكرمل خاف من تهديدات إيزابل وهرب وطلب الموت لنفسه (١مل :)، بل أن الرسول بولس أيضاً قال مرة "**من الداخل مخاوف ومن الخارج خصومات حتى أيسنا الحياة!**" (٢كو١ : ٨).

ما أحوجنا عندما تهب علينا عواصف الحياة أن نثبت أنظارنا فى الرب يسوع المسيح، كما فعل بطرس أولاً فمشى على الماء، وإلا فإن تحويل انظارنا عنه الى العاصفة سوف يعرضنا للغرق.

أن الأنسان المسيحى غصن فى الكرمة، فلما تهب العواصف وتطّوح به الى اليمين واليسار بشدة تكاد تقطع أوصاله، عليه أن يبقى ثابتاً فى الكرمة... وهو كالفنار وسط بحر العالم المتلاطم الأمواج وعليه أن يبقى فى مكانه صامداً راسخاً يؤدى رسالته ويهدى السفن التائهة والمعذبة ...

المسيحى جندى فى ساحة حرب مُهدد بالأخطار والأهوال ويجب عليه أن يتحلّى بالصبر والشجاعة ولا يخاف ولا يفشل. تأملوا فى قائمة الآلام الطويلة التى ذكرها الرسول بولس وختمها بقوله «ولكننا فى هذه جميعها يعظم أنتصارنا بالذى أحبنا» (رو٨ : ٣٥).

قال رسكن "**إن التجارب تكون العقل الراجح، ومن إحتمالها ينشأ الصبر، ومن الخلاص منها يُخلق الشكر**". وقال توما الكمبيسى "**مادام الإنسان حياً فلا يسلم من التجارب، فاذا زالت عنا تجربة جاءت علينا أخرى**".

ولا ننسى أن الكثير من صعوباتنا ومخاوفنا وهمية فاذا تقدمنا نحوها هربت من أمامنا وزالت كما يزول الضباب عند شروق الشمس. فلنشدد الأيادى المسترخية والرُكب المخلّعة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمله يسوع لئلا نكلّ ونخور فى نفوسنا (عب١٢).

St. John Coptic Orthodox Church Covina, California
Tel. (909) 592-8847 - (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org - Website: www.mystjohn.org